

الآداب

قراءة العدد الماضي

الرومانتيكي ضجيج الفاظ جميلة كالغروب والالام والفراشات والسورد، والبنفسج ، والشعر الحديث ضجيج الفاظ غريبة ، وحشية !
كان علي محمود طه مثلا يملا قصيدته بهذا الضجيج من الكلمات المزمقة « عروس البحر .. حلم الخيال .. عيد الكرنفال .. » ويخلطها خلطا عجيبا غريبا بحيث ينسبك جمال اللفظ ضحالة المعنى . أما بعض الشعراء الحديثين فيعانون غفدة الالفاظ الفلسفية ، ولذلك يحشرونها بمناسبة وبلا مناسبة في قصائدهم ليفال على الاقل « انهم مثقفون » .
يقول كولن ويلسون : ان الفنان العظيم لا يكون مفكرا ، والمفكر العظيم لا يكون فنانا .

ولا اريد ان اقول ان الشعر يجب ان يتعد عن الفكر ، ولكنني اشدد على ان الصورة الشعرية ، والتعبير الشعري هما ميزة الشعر ، وان الفكرة التي لا تستطيع ان تجد لها عند الشاعر تعبيرا شعريا، لا فلسفيا مجردا ، تظل غريبة عن الشعر مهما كانت قيمتها الفكرية .

نحن نلوم المتنبي و ابا العلاء مثلا لانهما يصدمان القارئ بالحكمة ، او الفكرة دون أي مبرر ، ودون ان تأخذ هذه الفكرة - غالبا - الشكل الشعري ولكننا نعود الى اقتراح هذه اللفظة .

نلوم المتنبي لانه يأخذ افكار ارسطو او الروافيين ويضعها في شعر مباشر ، ثم تأخذ افكار هيدجر او كيركفارد ونيشيه مثلا ، ونضعها في شعر اكثر مباشرة .

الخلاف اذن ليس عن كون الشاعر نبيا أم فيلسوفا أم مغنيا ..
ليكن الشاعر نبيا ، ليتخيل نفسه فيلسوفا ، أو ليعتبر نفسه مغنيا للجمال والحزن .. ولكن يجب ألا ينسى انه شاعر قبل كل شيء .
حينما يتذكر انه شاعر اولا وتحل المشكلة .

المشكلة اذن ليست صراعا بين الفلسفة والجمال بل بين الشاعر واللاشعر .

ان أهم أخطاء الرسم الحديث مثلا ان الرسامين اهتموا بالفكرة اكثر من أسلوب التعبير عنها .

اما المرض الثالث من امراض الشعر الحديث فهو النثرية .
الشعر الحديث كله يقترب من النثر . ذلك امر معروف . لكن قصيدة النثر نفسها تحاول ان تهرب من النثرية . انها تجرب الفراية والدهشة ، والمفاجأة ومع ذلك تسقط .

وعلى الشعر الحديث ان يعرف كيف يضع لنفسه ابدا علامة مميزة . ان يعصب في عروقه حيوية ليست في النثر ، ووحدة عضوية يفتقدوها النثر ، وصورة باهرة ترفع الواقع الى مستوى الفن ولا تهبط بالفن الى مستوى الواقع . وان يفصل الصدا عنه بالموسيقى .

هل تراني بعد هذا « الاعتراف » أصبحت قادرا على الدخول الى هيكل القصائد ونيل « بركة » الكهنة ؟
لنحرب !

ابنة الظلمات - محي الدين فارس
« من مفامرات بورجوازي » ذلك ما تعلقه القصيدة تحت العنوان .. وهذا البورجوازي هنا متناقض مع نفسه . فهو ينتظر موسما لا نجى ..
وحينما يخيب امله « تنتفض » فيه الكبرياء والرجلة فاذا به يصب عليها بركانا من النعوت السيئة ثم يخبرها في النهاية انه مع فتاة اخرى ..
وان قمانه قد تركتها على السفح!

والشاعر لم ينفذ الى اعماق المشكلة ، ولا الى انعكاساتها وظلالها

القصائد

بقلم رفيق خوري

اذا كان الشعر الكلاسيكي مصابا بامراض الشيخوخة ، فان الشعر الحديث يحمل في الكثير من نماذجه امراض الطفولة !

واذا كانت امراض الشيخوخة هي قدر الشعر القديم الذي مات منذ نهاية العصر العباسي ولم يدفن حتى الان ، فليس من المحتم ان يصاب الشعر الحديث بالشلل !

وكما ان الشعراء الذين ما زالوا يكتبون الشعر القديم يسيئون لهذا الشعر، لانهم بضجيجهم المفتعل يسدلون الستار على حياة ذلك الشعر ، ونماذجه الجيدة في عصور شبابه ، ويتركون الناس ينظرون الى ذلك الشعر عبر النماذج الميتة التي ما تزال ترفض ان تنزل الى القبر، وعبر الاوراق الصفراء التي تصفها رياح الخريف على الارصفة ، ومع ذلك تعاند القدر وتقول : انا الربيع ..

كذلك يسيء بعض الشعراء الحديثين الى الشعر الحديث حينما يعرضونه - وهو طفل - لمفامرات تافهة ويقذفونه في صحراء من الملح بلا زاد ولا تجربة مما يجعله يصاب بالامراض الكثيرة التي يعاني منها.

ولست ادعي هنا انني قادر على وضع اصبع توما على كل جراح الشعر الحديث ، ولكنني احاول - مجرد محاولة - ان ألع الى هذه الامراض قبل ان ادخل الى محراب قصائد العدد الماضي .

أول امراض الشعر الحديث « مرض الطفولة اليساري » ، وقد يعترض البعض على اساس ان هذا عنوان لكتاب شهير كتبه لينين، وحاول ان يشرح مرض الطفولة اليساري في الحركة الاشتراكية ، وردى ان الطفولة اليسارية ليست مرضا خاصا بالاشتراكية فان الشعراء معرضون للاصابة بهذا المرض ، فهم بحجة الرفض والنقاء الجليدي و « الولادة من فوق » كما جاء في الانجيل ، لا يرفضون التراث فقط، بل يرفضون الواقع ويتخيلون ان الشعر العالمي هو الشعر الذي لا لون له ولا هوية ..

نحن نريد ان نكون شعراء عالميين .. حسنا ! ولكن علينا في البداية ان نكون شعراء عربا وان نحمل روح الامة العربية وتوثيها ، ونكهة مناخها ونمزق أرحامها عن الوليد الجديد .

القفز اذن فوق الواقع ، فوق الحاضر ، فوق الذات لا يؤدي الا الى الفراغ واللاشيء !

المرض الثاني الذي يعاني منه الشعر الحديث هو ضجيج الالفاظ واقتناصها من الكتب الفلسفية ورشقتها في القصيدة كيما تنفق بحيث لا يعبر الشاعر عن السأم مثلا بتصوير الحالة التي يمر بها من يعاني السأم وتصوير اصطدام هذا الاحساس مع الواقع ومعاناته لهذا الاصطدام ، بل يقول فورا : اني احس بالسأم .. ولذلك نصطدم في معظم نماذج الشعر الحديث بالالفاظ لا بالصور، وبالبداهيات لا بالتجارب فالغيبان والفلق والتوتر والتلوث والسقوط والهزيمة والنفي .. كل هذه المعاني تتحول الى مجرد الفاظ تصح في الشعر الحديث ، تصح كما كانت الالفاظ تصح في الشعر الرومانتيكي . نفس المرض اذن. الشعر

الأخرى .. ولذلك فهو يقدم لنا الصورة بيضاء وسوداء فقط .. ففي القصيدة عاطفة ذات اتجاه واحد .. وخطابية حماسية تدور حول موقف جامد . والقافية تجر الشاعر أحيانا الى ما لا يريده .. يقول لها : « لا تتبعيني لست أول قطة لوتنها ورميتها كالطحلب » ولا أظن ان للطحلب اية علاقة في الموضوع هنا الى جانب الصورة البعيدة الى الجمالية . ويقول في مكان آخر :

«في كل عام ينضج العنب الذي يسقي العروق من الرحيق الطيب» والشطر الاول مأخوذ كله من قصيدة لاليس ابو شبكة يقول فيها: « لا تقتطي ان وجدت الكاس فارغة يوما ففي كل عام ينضج العنب » الا ان الشاعر زاد عليها كلمة « الذي » وبذلك قتل ارتفاعها عن النثرية ذلك الارتفاع الذي حققه ابو شبكة . بكائية - فاروق شوشة

حب قديم يموت .. يموت لدرجة ان ابطاله اذا مروا ببعضهم أو تبادلوا السلام لم يذكروا شيئا .. الماضي هنا ليس جثة .. وليس صورة تمر في الذهن ، ولكنه لمحة مدفونة . ولذلك لا يثير أي احساس . ولكن الشاعر يعود في المقطع الثاني فيهز هذه الصورة ، يهز ابدية هذا النسيان .. فاذا الريح على الباب . الريح تحاول ان تهز الماضي ، الريح لا تصدق ان الماضي يمكن ان يموت بهذه البساطة ولكنها اخيرا تصطدم بالحزن والملل وأصمت ..

حتى اذا جاء المقطع الثالث عرفنا ان مأساة هذا الحب كونه لم يرفض ، لم يقاوم ، كونه ظل غريبا .. فهما لم يعرفاه ليتكراه .. لينفياها .. ليجعلاه شهيدا .. انه ان ميت بلا قضية .. القصيدة جميلة .. تنزع بعض الاحيان الى النثرية ، ولكنها استطاعت ان تعبر عن الفكرة الصغيرة تعبيراً شعرياً . نشيد العودة - حسن فتح الباب

« لترفع الجبين عليا فانهم يشاهدون ألوية النصر ترف حرة على حمى العرين ولنفرش الطريق بالزهود للاباء والبنين تحية للخالدين من طلائع المناضلين » ما الفرق بين هذه الابيات وبين اية انتحائية صحفية ؟ ان المباشرة هي الداء الذي ورنائه عن الشعر القديم ، وهي الداء الذي استشرى اكثر ما استشرى في شعر « النضال » !

ان شعر النضال يجب ان يكف عن ان يكون يافطات ، وشعارات، ينبغي ان يرتفع الى مستوى القضية ، ان يخفق مع قلب الملحمة الكبرى التي يخوضها الشعب ، فلا يكتفي بالوقوف بعيداً عنها والتصفيق لها في سداجة مفرطة ويسارية طفولية . اذا كانت قدسية شهادة الجنود في اشرف معركة في اليمن لا ندعونا الا ان نقول : « المجد للشعب العريق يفندي بروحه حماه للبعث جيلا بعد جيل يقهر الخوان والطفاه »

فان الفن يظل دون مستوى الشهادة ، في حين يجب ان يرتفع عن مستواها .. يجب ان يستلهمها لا أن يخاطبها . معظم شعراء « النضال » لا يخرجون عن هذا الطريق .. تصوير الظلم ثم التأكيد بان النصر قريب .. وذلك بمباشرة، وخطابية تدفعهم الى اجترار نفس المعاني . فقول الشاعر هنا :

« جراحهم تشع في صدورنا الفخار كالوسام » ورد في اكثر من مئة قصيدة من هذا النوع ! لقد رأينا مالك حداد يتحدث عن ثورة الجزائر وشهادتها بلفسة شعرية تبعد عن الصريح والفيار واليافطات .. ورأينا ناظم حكمت ، وبول ابلوار وبابلو نيرودا ولوركا يصوغون نضال الشعوب قصائد رائعة تعيش في العروق والقلب لا في الاذن !

ثلاث رسائل الى شهيد - هلال ناجي
ان جلال الشهادة الحقيقية وجلال الموت يورقان في حروف القصيدة

ويجعلان المرء يقف حائرا .

اخ يتحدث عن شقيقه الملازم الذي استشهد وهو يزحزح ليلب الظلم الشعوبي في العراق ..

وعلى الرغم من ان الشاعر هلال ناجي قد اشتهر بقصائده الخطابية والمباشرة فانه هنا في هذه القصيدة منحى جديدا ..

ان عمق المعاناة هو الذي جعل القصيدة تبعد عن المباشرة، وعمق المعاناة هو الشرط الرئيسي للشعر الحديث وبدونه يصبح هذا الشعر خطابات ممللة .

الصعود المخملي - عدنان كيلاني

وهذه قصيدة نصالية اخرى .. ولكنها تحاول ان تهرب من الخطابية، دون ان تتمكن من ذلك تماما . انها تريد ان تنسلخ عن التقليد ، ولكنها ما زالت تنسلخ .. أي انها لم تنسلخ تماما .

ولكنها مع ذلك بداية طيبة لتحول طيب . وان كان المرء يأخذ على الشاعر قوله : « ويحتوي السعال » !!

أو « سأجرح اصنام شعبي بنظرة » .

فان المرء لا يجرح اصنام الشعب بل يكسرها ، لان جرح الشيء معناه الايمان به .. ففي كل الاساطير الدينية وعند المسيحية بشكل خاص يعتبر شرب دم المسيح ايمانا به ولذلك يتناول المسيحيون في الكنيسة لكي يأخذوا القوة من المسيح وليحاربوا الخطيئة .

التلوث والمنفى - مصطفى خضر

هذه القصيدة من اجمل قصائد العدد ولا شك .. تلمح منذ بدايتها الفاظ الشاعر خليل حاوي وصوره لا تمسك بخناق الشاعر مصطفى خضر ، بل تعيش في اعماقه بحيث يعبر عن نفسه ، وعن تجربته بواسطتها دون ان يفحمها اقحاما كلياً .

بطل القصيدة ينتظر المعجزة .. ينتظر المعجزة رغم انه مسلول ومنفي ، ورغم ايمانه بان المنفى لم يعد خصيماً ..

انه يعيش في عالم يزني بكل شيء .. يزني بالكلام .. بالاشارات، بالاهداف .

وتكاد تجيء المعجزة ولكن البطل يحس انها مزورة غريبة ، ثم يحس في السقطة العمياء ان وجه الحبيب سيعود ..

« وجه الحبيب يعود لي وجه الحبيب

عاد الفرات واوغبت آياتنا عبر الصليب

يا بؤرة المنفى البعيد

اني احس الموت واليلا والابدية السمراء نسفا

في مدى قلبي الوليد

انا الطريد ..

اني احس .. اريد ان احيا اريد » .

والنهاية فيها شيء من الفردية ، ولكن الرجوع الى الذات هو الرجوع الى الاصلية . ان المرء لا يستطيع ان يعود الى الاخرين ليمحو التلوث والمنفى . يجب ان يعود اولا الى نفسه لكي يحس بان التلوث قد محي فعلا وساعتها يحس ان المنفى قد انتهى وانه يستطيع ان يعود الى الاخرين .

الرجل الرمادي والصفيرة - حسن النجمي

تصور هذه القصيدة لحظة انهيار قيمة الحياة في نظر رجل .. رجل فقد طفلة صغيرة .. انها اللحظة التي ينعكس عليها الموت والفقدان .

الان كانت الطفلة معه .. وهي الان تحت التراب !!

انها المأساة الابدية .. ويعيش الرجل ، يشرب .. يبكي ، ولكن هل يستطيع الشرب ان ينقذه من هذا الاحساس ؟ هل يعيد البكاء له الربيع؟

لا شيء .. انه يشعر وكأنه هو الميت ، وكان الطفلة هي الحية الوحيدة في الوجود . الوجود كله عدم . كله موت ، والطفلة تتحده ان يعيش ، ان يحس بجمال الحياة .

القصيدة نموذج طيب وحيدا لو استطاع الشاعر ان يتخلص من النثرية .

رفيق خوري